العلاقات العراقية- السوفيتية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية حتى ١٩٥٨

م.د. هيفاء محمد غريب فتاح
hayfaalgrebalgreb@gmail.com
المديرية العامة لتربية الرصافة الثانية

الملخص

لم يمتلك العراق علاقات دبلوماسية واقتصادية واجتماعية مع الاتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٤٤ بسبب السياسة البريطانية المهيمنة على اوضاعه ومقدراته الخارجية ويتحكم بعلاقاته مع الدول الاخرى .

بدأت أولى العلاقات العراقية السوفيتية في التاسع من ايلول ١٩٤٤ بعد أن صرحت بريطانيا للعراق أن يعزز علاقاته بالسوفييت كونه من دول الحلفاء الذين اشتركوا مع بريطانيا في الحرب العالمية الثانية ضد المانيا ليبحث هذا البحث في طبيعة العلاقات العراقية السوفيتية وكيف تعزز السنوات اللاحقة.

الكلمات المفتاحية: الحرب العالمية الاولى والثانية، العلاقات العراقية، السوفيتية.

Iraqi –Soviet relations between the first and second World Wars until 1958

M,D Haifa Muhammad Ghareeb Fattah
General Directorate of Education , Rusafa II

Abstract

Iraq did not have political economic and social relations with Soviet Union until 1944 because of the British Policy that dominated its external conditions and capabilities and controlled its relations with other countries. The allies who participated with Britain in World War 11 against Germany, this research examine the nature of the Iraqi- Soviet relations and how they were strengthened in the subsequent years.

Keywords: World War I and II, Iraq- Soviet, relations.

المقدمة:

اكتسب موقع العراق الجغرافي وموارده الاقتصادية، أهمية متزايدة لدى الدول الكبرى، واصبح العراق بلداً جاذباً لاهتمام الاتحاد السوفيتي، بسبب موقعه على الحافه الشمالية للخليج

العربي وقد مثل الخليج اهمية كبيرة للنفوذ الغربي بسبب موارده النفطية الكبيرة منه، وكان العراق يمتاز عن غيره من بلدان العالم الثالث التي كانت تدور في آفق النفوذ السوفيتي، وكانت العلاقات السوفيتية العراقية حيث كان يشتري منها معدات عسكرية وصناعية مقابل العملة الصعبة.

بدأت أولى العلاقات السوفيتية العراقية في ٩ أيلول عام ١٩٤٤، وكانت هذه الفترات من أهم الفترات التي شهدتها تاريخ المنطقة من جهة، وتاريخ العالم من جهة أخرى ، فعام ١٩٤٥ يمثل بداية مرحلة " الحرب الباردة".

وفي كانون الثاني عام ١٩٥٥ قرر رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد قطع العلاقات مع موسكو، بسبب انتقاد الاتحاد السوفيتي لقرار العراق الدخول في حلف بغداد في ٢٤ شباط ١٩٥٥، وكانت للوقوف بوجه المد الشيوعي، حيث كانت الولايات المتحدة الامريكية هي صاحبة فكرة انشاء هذا الحلف حيث وعدت بتقديم العون الاقتصادي والعسكري للأعضاء، ولكنها لم تشارك فيه بشكل مباشر وإنما وكلت بريطانيا القيام به، والحق نوري السعيد بحلف بغداد أتفق مع بريطانيا سمي" الاتفاق الخاص" ليحل محل معاهدة ١٩٣٠ التي شارفت على الانتهاء مقابل دخول بريطانيا للحلف، ولقد اعتبر هذا الاتفاق جزء لا يتجزء من حلف بغداد وقد تضمن توسيعه للنفوذ البريطاني، وايضاً بموجب هذا الاتفاق قد قلص النفوذ السوفيتي في العراق.

أن حلف بغداد كان يهدد الوجود السوفيتي في العراق حيث كانت تلك النظرة السوفيتية الى حلف بغداد وعجز الوزير السوفيتي من كون الحلف منظمة دفاع اقليمية، لاشك أن ما حمل السوفييت على هذا الموقف، هو شعورهم بأن القوات الغربية يمكنها أن توجه عن طريق قواعدها العسكرية في منطقة حلف بغداد الاقليمية ضربات مدمرة الى مراكز التصنيع السوفيتية.

يعتبر هذا الحلف أقل الاحلاف نجاحاً في فترة الحرب الباردة إذ انسحب العراق من الحلف حيث قام بعض قادة الجيش العراقي الى تكوين خلايا سرية، للقضاء على نظام الحكم في العراق، وإعلان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بقي ادة عبد الكريم قاسم والتي أنقلب فيها على النظام الملكي واعلان الجمهورية العراقية واقام علاقات دبلوماسية مع الاتحاد الس وفيتي وانسحب من الحلف.

بهدف هذا البحث الى تتبع العلاقات بين بين الروس والاتحاد السوفيتي فيما بعد مع العراق خلال المدة من ١٩١٧ حتى ١٩٥٨.

المبحث الاول

العلاقات العراقية السوفيتية بين الحربين العالميتين الاولى والثانية

اعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ فوقف الروس ضمن دول الحلفاء مع بريطانيا وفرنسا ضد الدول المعادية لها المتمثلة بألمانيا وامبراطورية النمسا والمجر والدولة العثمانية، حيث تغلغل الروس في الخليج العربي لاسيما في ايران بوصفها الطريق المؤدي الى الخليج العربي، حيث سيطرت روسيا على مناطق تبريز وكرمنشاه**(عبد الرحمن، ١٩٨٨، ص٢٢)**.

واثناء الحرب العالمية الاولى توغلت القوات الروسية داخل الاراضي العراقية من جهة الشرق عند خانقين، إذ احتلتها القوات الروسية في نيسان عام ١٩١٧، ثم اتجهت السياسة الروسية الخارجية نحو عدم الرغبة في التوسع والحصول على موطئ قدم جديدة لها في الخارج، أو حتى تحقيق مكاسب ذات ابعاد ومطامع ذاتية **(أحمد، ١٩٨٢، ص٩)**..

وفي عام ١٩٢٠ بدأ الاهتمام الروسي بالعراق يظهر بشكل واضح من خلال مؤشرات رسمية، إذ عقد مؤتمر باكو في العام نفسه، وركز الى دعوة الفلاحين وتحريضهم ضد الدول الغربية، وتشكل الاحزاب الشيوعية والتي ترتبط بالشيوعية الاممية وتلتزم بقراراتها، وحاول الروس اثبات نياتهم الحسنة بعقدهم اتفاقية للصداقة مع ايران في شباط عام ١٩٢١ تضمنت التنازل عن جميع الحقوق والامتيازات التي ورثوها عن النظام القيصري القديم، والامتناع عن جميع اشكال التدخل في الشؤون الداخلية الايرانية وسحب جميع القطعات العسكرية المتبقية من الجيش القيصري السابق من هناك، فضلاً عن حق الاتحاد السوفيتي في العودة ثانية الى الاراضي إذا ما تعرض أمنه القومي الى تهديد من طرف ثالث، إذا لم تتمكن الحكومة الايرانية من صده على ان تسحب جيوشه من الاراضي الايرانية فور زوال الخطر**(شريف ، ١٩٧٦،ص٩٠)**.

وبعد الثورة العراقية الكبرى عام١٩٢٠ ، تؤكد بعض الوثائق أن الحكومة العراقية حاولت بناء علاقات مع الاتحاد السوفيتي ويفيد القنصل السوفيتي في تركيا أن ممثلاً من الحكومة العراقية وصل الى تركيا لهذا الغرض، وهنا لابد أن اسجل أن هذا التاريخ لا يمكن عده بين البلدين والتي تقضي العلاقات الدولية بين وحدتين سياسيتين تاريخ للعلاقات كاملين الأهلية، ولعدم تمتع العراق آنذاك بالاستقلال وخضوعه للانتداب البريطاني.**(العقيلي، ٢٠١٠، ص٢٧)**.

عد الاتحاد السوفيتي الزعامات العربية الخليجية التي اتخذت مواقف عدائية من بريطانيا على أنها زعامات(ثورية) بغض النظر عن معتقداتهم السياسية أو نوع الحكم الذي تقوده، في حين صنف البلدان الواقعة على مياه الخليج العربي من التي لم تعاد بريطانيا أنها خاضعة الى حكومات اقطاعية مطلقة أو انها حكومات " اقطاعية مستمرة"، حاولت بريطانيا بعد أن رأت أن

الاتحاد السوفيتي بدأ يخرج من ظروفه الداخلية والصراعات التي شهدها، وتبني سياسة خارجية تهدف الوصول الى مناطق الشرق الاوسط، وحاولت ابعاد هذه المنطقة عن أي تأثير للاتحاد السوفيتي وقامت بعزل المناطق التي يسيطر عليها السوفييت عن طريق ايجاد حكومات وشخصيات مناوئة للشيوعية والاتحاد السوفيتي لذلك شهدت المدة ما بين الحربين العالميتين هيمنة بريطانيا على سياسة العراق الخارجية وتوجيه أهداف هذه السياسة بما يخدم الغرب ومشروعه الاستعماري في المنطقة.**(البلاوي، ٢٠٠٨، ص٢٨)**.

بدأت أولى المحاولات من أجل إنشاء الاحزاب الشيوعية في بلدان الشرق والمنطقة العربية بعد تأسيس الأممية الثالثة(الكومنترن) وظهر أول نشاط للأممية الثالثة في اعقاب مؤتمرها الثاني الذي عقد في موسكو من ١٩ تموز الى ٢ آب ١٩٢٠. الذي ناقش مسألة المستعمرات والقضايا الوطنية(*).

بدأت الأممية الثالثة مساعيها لإيجاد حزب شيوعي في العراق، ونظراً لموقع سوريا الجغرافي الملاصق للعراق، وسهولة الاتصال بين القطرين أصبح شيوعيو سوريا ولبنان في مقدمة المصادر وأقربها لنقل الفكر الشيوعي الى العراق وإيجاد بعض الصلات مع بعض العراقيين إلا ما كان يرد اليهم من خارج القطر من مطبوعات شيوعية تصدر عن " دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية" في موسكو، ومنها تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ، وأسس اللينية ، مؤلفات لينين وستالين، فكانت أولى المحاولات لتشكيل لحزب شيوعي في العراق بتأثير الحزب الشيوعي السوري وسكرتيرة العام خالد بكداش كجزء من مساعيه لنشر الشيوعية على النطاق العربي، فبدأ فهد(يوسف سلمان يوسف) العمل لتشكيل الخلايا الحزبية في العراق، وكان فهد يعمل عاملاً في ميناء البصرة في عام ١٩٢٧(**).

وفي الوقت ذاته ظهرت خلايا مماثله في بغداد والبصرة(*) أن امتناع العراق عن اقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية جعله يخسر دولة كان بإمكانها تقدم له مساعدات سياسية واقتصادية**(ابراهيم، ١٩٣٥، ص٧٠-٧٣)**.

(*) الأممية الشيوعية (الكومنترن) : منظمة شيوعية دولية تضم الاحزاب الشيوعية في العالم كفروع لها أسست في موسكو في آذار ١٩١٩، واستمرت حتى عام ١٩٤٣.

(**) فهد هو لقب يوسف سلمان المولود في بغداد عام ١٩٠١ من عائلة مسيحية كلدانية نزحت من إحدى القرى التركية الغربية من الحدود الشمالية للعراق، وتنقلت ما بين الموصل وبغداد والبصرة، وفي البصرة درس فهد في مدرسة السريان الابتدائية ثم دخل مدرسة (الرجاء الصالح) الامريكية، ولكنه لم يتم دراسته فيها، فأعمل كاتباً في دائرة الكهرباء في الميناء ثم أنتقلت عائلته الى الناصرية حيث امتلكت عائلته معمل للثلج. حميد ناصر، القيادي الشيوعي يوسف سلمان، يوسف في ذاكرة التاريخ، بغداد،١٩٦٠.

(*) يقول الشيوعي اليهودي حسقيل قوجمان في مذكراته الخطية (أن خيانة في صفوف المذكورين أدت الى اعتقال اغلبهم، عدا فهد وقليلينغيرهم تمكنوا من الافلات.

أن بواكير المحاولات الدبلوماسية السوفيتية لإقامة علاقات مع العراق شهدتها عام ١٩٣٤ ففي اثناء اجتماعات عصبة الأمم التي عقدت في جنيف في هذا العام عرض وزير الخارجية السوفيتي ليتفينوف على نوري السعيد وزيرً الخارجية العراقي موضوع اقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين وضرورة تبادل التمثيل الدبلوماسي بين حكومة موسكو، فأجابه نوري السعيد إلا بالرفض قائلا له: " أن ضرورة تبادل التمثيل السياسي بين أي بلد وآخر تقرره المصالح المشتركة بين البلدين، كوجود علاقات تجارية أو اقتصادية بينهما، أو وجود رعايا لأحد البلدين الآخر، وجميع هذه العوامل غير موجودة بي ن العراق وروسيا الشيوعية، وعليه فأن تأمين تمثيل دبلوماسي وسياسي بين البلدين في مثل هذه الظروف لامعنى له"**(جاسم، ١٩٨٠، ص٤٩)**.

أن الحجج التي بررها فيها نوري السعيد عدم سعي العراق لإقامه علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي لم تكن واقعية واقع الحال لم يكن كذلك لأن العراق بعد دخوله عصبة الأمم لأن عام ١٩٣٢ كان بإمكانه إقامة علاقات مع دول كبرى مهمة في الساحة الدولية مثل الاتحاد السوفيتي، ولكن تخوف النظام السياسي في العراق والنخبة الحاكمة من أن يؤدي اقامة العلاقات الدبلوماسية مع السوفييت الى دعم الحركة الشيوعية في العراق التي بدأت بواكيرها الاولى بالعمل بشكل سري، وظهور(جماعة الاهالي) الذين وقعوا تحت تأثير الاشتراكية ، وانشاء افكارها الشعبية على يد عبد الفتاح ابراهيم عضو الجماعة الذي اصبح اشتراكياً يسارياً ، وكانت جذوره الفكرية ماركسية**(ابراهيم، ١٩٣٥، ص٧٠-٧٣)**.

ومع ذلك لا يمكن القول التشكيلة الشيوعية التي ظهرت عام ١٩٣٤ تعتبر حزباً شيوعياً منظماً، لأنها تفتقد أسس التنظيم الشيوعي، ومبررات وجود الحركة الشيوعية ولأنها بعيدة عن التغلغل في الأوساط الشعبية(ستالين،).كما أن جريدة (كفاح الشعب) نشرت مقالات تفتقر الى الادراك السياسي والفهم الجيد للماركسية- اللينية كما حاولت نشر الثقافة الشيوعية، ولكنها بشكل بدائي ساذج، فكان يتصدر الصفحة الاولى للجريدة الشعار الشيوعي المعروف " المنجل والمطرقة"**(كفاح الشعب، ١٩٣٥)**.

شهدت سنوات الحرب العالمية الثانية بدايات اقامة العلاقات الدبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفيتي، لاسيما أن الاخير كان ضمن كتلة الحلفاء التي خاضت غمار الحرب ضد المانيا النازية وكانت الى جانب بريطانيا التي أصبحت مقدرات العراق السياسية بيدها بعد احتلالها الثاني له اثر قيام انتفاضة مايس – ايار ١٩٤١ في العراق وفشلها في تحقيق اهدافها**(مار، ٢٠٠٦)**.

مهدت الزيارة التي قام بها رشيد عالي الكيلاني لإقامة علاقات دبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٠ فأثر قيام الكيلاني بزيارة مجاملة للسفير السوفيتي عبر عن رغبة

بلاده في اقامة علاقات دبلوماسية مع العراق ، وطلب من السفير العراقي نقل هذه الرغبة الى بلاده وبالفعل أبلغ السفير العراقي وزارة الخارجية العراقية بما جرى بينه وبين السفير السوفيتي فعارضت بريطانيا ذلك معارضة شديدة، وطلبت عدم الاستجابة للرغبة السوفيتية في اقامة علاقات دبلوماسية مع العراق لأن ذلك من شأنه أن يجعل العراق ساحة للنشاط الشيوعي(**د.ك.و.، ١٩٤٠، ص٢٣٠**).

لكن بريطانيا لم يستمر رفضها لإقامة علاقات دبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفيتي طويلاً، إذ أدى تحالف حكومة لندن مع موسكو أبان الحرب العالمية الثانية وقيامها بالتكتل ضد المانيا النازية وحلفائها(**صفوة، ١٩٨٥، ص٢٧**).

استطاع الاتحاد السوفيتي بخطوته التي خطاها دبلوماسياً مع العراق أن يقلل ارتباط العراق ببريطانيا التي قيدت علاقاته الخارجية بالعالم لفترة طويلة امتدت من احتلالها له عام ١٩١٧ وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية وكانت ترفض أي علاقات دبلوماسية للعراق مع دول العالم إلا بموافقتها أو عن طريقها، كما أن الاتحاد السوفيتي عندما خطا هذه الخطوة خفف من تشدد الساسة العراقيين، لاسيما من تعنت وتشدد نوري السعيد وعبد الاله اللذان كانا يرفضان اقامة علاقات دبلوماسية بين العراق والاتحاد الس وفيتي رفضاً باتاً (**مراد، ١٩٧٩، ص٢٢٤**).

جاءت اقامة العلاقات الدبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفيتي بعد ثمانية عشر عاماً من تأسيس الاتحاد السوفيتي وثلاثة عشر عاماً من دخول العراق عصبة الأمم المتحدة وإعلان استقلاله السياسي لتؤشر اهمية الاتحاد السوفيتي في الميدان لكسر الهيمنة البريطانية على بلد عربي خليجي مثل العراق، فالقيادة السوفيتية كانت تدرك المخاطر الذي يمكن أن يولدها وجود بريطانيا في منطقة الشرق الاوسط على أمن الدولة السوفيتية نظراً للعامل الجغرافي، فضلاً عن الوجود البريطاني في إيران بوصفها دولة مجاورة للعراق، وللوجود الامريكي في بعض المناطق الايرانية التي تم احتلالها أبان الحرب العالمية الثانية، لذلك نجد سعي السوفييت لكسر الطوق المفروض عليهم في الوصول الى منطقة الخليج العربي من خلال العراق وإقامة أوثق العلاقات الدبلوماسية معه(**الشمري، ٢٠٠٢، ص١٥٣**).

المبحث الثاني

العلاقات العراقية- السوفيتية حتى عام ١٩٥٨

على أثر ظهور النازية السريع والمفاجئ في المانيا وازدياد مخاطرها عالمياً، دعت الأممية الثالثة الى عقد مؤتمرها السابع في موسكو في أواسط عام ١٩٣٥، لوضع الخطط من أجل مواجهة الخطر الجديد وقرر المؤتمر التراجع عن بعض المواقف المتصلبة، وطلب من جميع الاحزاب الشيوعية المرتبطة بالكومنترن اتباع سياسة مرنة لتأليف الجهات الشعبية

وتكتلات الوطنية الموحدة وتأييد مواقف الاتحاد السوفيتي في نطاق علاقاته الدولية**(جريد الشرارة، ١٩٤٢)**.

بالمقابل كان موقف الحزب الشيوعي العراقي اللامبالي من الأحداث في فترة ما بين الحربين إذ لم تكن فيها جديدة ناطقة بلسانه، ولكن موقف الحزب الشيوعي العراقي تغير تجاه الحرب مهاجمة الجيوش الهتلرية للاتحاد السوفيتي في حزيران ١٩٤١، ولم يكتف الشيوعيون بذلك، وإنما دعوا الى زج العراق في أتون هذه الحرب، حتى قبل الحصول على أية ضمانات من الدول المتحاربة في المحافظة على الاستقلال والسيادة الوطنية أو الاستجابة لمطالب الشعب العربي في الوحدة والتحرر **(عبد الكريم ومحمد، ص٤٠)**.

الشيوعيون لم يكتفوا بهذا الموقف، وإنما اندفعوا للتعاون والعمل مع بريطانيا وعبد الاله ونوري **السعيد**، وبدا الحزب يتودد الى عبد الاله[*].

لقد حاول الشيوعيون استغلال علاقاتهم المتينة مع بريطانيا ونوري السعيد لتحقيق غرضين، الاول الحصول على اجازة تأسيس حزب علني**(جريدة الشرارة، ١٩٥٢)**. والثاني اقامة علاقات دبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفيتي، ولقد زار الرفيق لتينوف[**] سفير الاتحاد السوفيتي فيواشنطن، ولقد اعترفت حكومة حمدي الباجه جي ، بالاتحاد السوفيتي واقامة علاقات دبلوماسية معه على مستوى السفارة وعينت الاتحاد السوفيتي أول وزير مفوض لها في بغداد هو كريكوري تتسيف الذي باشر مهام منصبه في أوائل ١٩٤٥ وفي أواخر العام نفسه عينت الحكومة العراقية أول وزير مفوض لها في موسكو هو عباس مهدي**(عبد الكريم ومحمد، ص٥٤)**.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تعرضت البلدان العربية الى موجه عارمة من ضغط الدول الغربية يجرها الى مشروعات الدفاع الانكلو– امريكية الرامية الى تطويق الاتحاد السوفيتي وأكد من نفوذه وتوسعه في أمور الشرق الاوسط وذلك على غرار حلف الاطلسي الذي اقامته في غرب أوربا والحلف الادرياتيكي[*]، وعلى صعيد أخر الأكراد الذين رفضوا الانضمام الى الحزب

[*] نقلت الجريدة ذلك عن الشيوعي الامريكي جون زيد من كتابه عشر ايام هزت العالم.

[**] لتيفون يهودي بلشفي من أوائل قادة الحزب الشيوعي السوفيتي في عهد لينين، اصبح بعد ذلك وزيراً للخارجية.

[*] أكد تاريخ الاحزاب الشيوعية في العالم، ومن بينها الحزب الشيوعي السوفيتي، ومن بينها الحزب الشيوعي السوفيتي في طليعة الاحزاب، واقع تسلل صهيوني وغير صهيوني الى صفوفها، كانت آثاره السيئة وخيمة، وقد دفعت ثمنها غالباً مثلما دفع الحزب الشيوعي العراقي هذا الثمن إذ أن الصهيونية العالمية منذ ظهورها عملت وماتزال تعمل على التسلسل الى الحركات السياسية القائمة في اقطار اوربا وغيرها من اقطار العالم، ولاسيما في الاحزاب الشيوعية، وهذا ما دفع قادتها لأن يوعزوا لمسؤولي – اللينية لاستيعابها نظرياً، من أجل تسير عملية تسللهم الى الاحزاب الشيوعية، ومن ثم التدرج في المراكز الحزبية حتى بلوغ أعلاها أو في الاقل كسب زعماء

الشيوعي، الذي أصدرت جريدة سرية لها باسم(شورش– الثورة) ، فعرفوا بهذا الاسم، وتألفت اللجنة المركزية لمنظمة شورش من صالح الحيدري سكرتيراً ورشيد عبد القادر وعبد الصمد محمد ونافع يونس وكريم توفيق ونوري محمد أمين اعضاءاً، وقد ساهمت هذه المنظمة مساهمة فعالة في تأسيس حزب رزكاري كورد الذي اصدر جريدة رزكاري لتكون لسان حالة، وعندما ظهرت الدعوة لتأسيس الحزب الديمقراطي الكردي البارتي عقدت منظمة شورش مؤتمراً لها في أوائل شهر آب ١٩٤٦، وقررت بأكثرية الآراء حل والانضمام الى الحزب الجديد، أما المعارضون فقد التحقوا مرة أخرى بالحزب الشيوعي العراقي(**).

ولقد رسم سياسة الحزب في حقل العلاقات الوطنية إذ وافق قبول التعاون مع حزب الشعب وحزب البارتي وجماعة القرانجي في عام ١٩٤٧ ، ودعا الى تأليف حكومة من حزبي الأحرار والوطن الديمقراطي، وشخصيات وطنية مستقلة(***) .

أصيب الحزب الشيوعي في بداية عام ١٩٤٩، بأخطر انتكاسة تعرضت لها حركته. لاسيما من تعنت وتشدد نوري السعيد وعبد الاله اللذان كانا يرفضان اقامة علاقات دبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفيتي(**فضل، ١٩٨٥، ص٣٩٦**)، فضلاً عن ذلك اعتقدوا ، أن اقامة العلاقات الدبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفيتي مثل كسراً للطوق الحديدي الذي فرضه ١٩٢٤–١٩٥٣ على بلاده شعار المعروف اقامة الاشتراكية في بلد واحد، حيث أن اهمية العراق بالنسبة للاتحاد السوفيتي لم تكن غائبه عن تفكير، ففي عام ١٩٥١ أعلن ستالين أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في موسكو وأن سوريا كانت أقرب البلاد للدول الشيوعية ويلها العراق(العمار،١٩٧٧، ص١٨٦).

لم تستمر العلاقات الدبلوماسية العراقية السوفيتية طويلاً إذ شهدت تراجعاً أثر دخول العراق في ميثاق بغداد عام١٩٥٥(غلمان، بلا ت، ص٤٧)، لأن موضوع الدفاع عن الشرق الاوسط ضد العدوان الخارجي لاسيما الاتحاد السوفيتي كان أمراً بشغل بالولايات المتحدة الامريكية، وبعد انتخاب ايزنهاور لرئاسة الولايات المتحدة سنة ١٩٥٢ أخذ وزير خارجيته جون فوستر دالاس يعطي هذا ال موضوع قد كبيراً من الاهتمام(**مصطفى، ١٩٦٨، ص١٤٤**).

وقيادات هذه الاحزاب الى جانبهم وتحذيرهم بما يقدمون لهم من مساعدات مالية وغيرها ، ويوجد بعض القيادات الشيوعية المتقاطعة مع الصهيونية..

(**) ترجم سليون دلال المذكرة الى اللغة الانكليزية وبعث نسخه منها الى اخيه الذي يعيش في الولايات المتحدة وأعطى نسخه منها باللغة العربية الى صبري عبد الكريم – عضو اللجنة المركزية – ليسلمها آراخاجا الذي سلمها الى المفوضية السوفيتية.

(***) توجيهات حزبية في نشرة داخلية اصدرتها جماعة القاعدة ١٩٥٤.

ولقد خرج فوستر دالاس من زيارته الواسعة بنتائج عديدة وضع على اساسها مقترحات التي اخذت السياسة الامريكية تطبيقها فيما بعد وهي الاستعاضة عن موضوع الدفاع عن الشرق الاوسط بالنطاق الشمالي وقد تقرر اقامته عب الحدود السوفيتية على أن تكون ركيزته تركيا وايران وباكستان ويستند في الداخل على بعض الاراضي العربية ولاسيما العراق وسوريا ولبنان والاردن**(كبة، ص٤٠٣)**

واجه حلف بغداد مقاومة عنيفة داخل العراق، فقد عارضته العراق قبل اخراجه الى حيز الوجود، فعندما زار عدنان مندريس بغداد ودمشق وبيروت في مطلع عام ١٩٥٥ يروج لحلف بغداد استقبله الشعب بالمظاهرات الاستنكار والاحتجاج فقام نوري السعيد بتفريق المظاهرات بعنف وشراسة واعتقل عدداً كبيراً من المتظاهرين وجرح آخرين، يرى الشعب العراقي هذا التحالف لا رأي له فيه بل بالعكس في ذلك يرى فيه تحدياً لارادته ومشيئته فهو اتفاق حكومات لا شعوب ولاشك سيلغي هذا الاتفاق الذي يبرم خلاف مشيئته عندما يملك امره ويحقق ارادته**(أحمد وعبد الرحمن، ٢٠٠٥، ص١١٠)**.

كما عارض الاتحاد السوفيتي ميثاق بغداد لأنه عدةً موجهاً نحو في اطار الحرب الباردة بين حكومتي موسكو وواشنطن، فقد ندد السوفييت كثيراً بهذا الميثاق الذي أكد ارتباط النظام الملكي بالغرب وسعيه لتنفيذ مخططاته في المنطقة العربية، وأثر ذلك قطع العراق علاقاته الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي في السادس من تشرين الثاني عام ١٩٥٥ واستدعى وكيل وزارة الخارجية العراقي القائم بالأعمال السوفيتي في العراق وأبلغه قرار الحكومة العراقية بتعطيل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، وجاء عبر بيان صدر مديرية التوجيه والاذاعة العامة العراقية التي اذاعته في الثالث من كانون الثاني عام ١٩٥٥ على الرأي العام العراق**(السويدي، ١٩٦٩، ص٥٣٨-٥٤٠)**.

أمام خطر حلف بغداد وغيره من الاخطار أقامت الاحزاب الوطنية العلنية والسرية جبهة وطنية في بداية ١٩٥٧ . لمقاومة نوري السعيد والاحلاف العسكرية وغيرها، وقد اصدرت هذه الجهة بياناً الى الشعب العراقي بنبأ مولدها وحث الشعب على الالتفاف من حولها في سبيل تحقيق اهدافها القومية، وفضلاً عن هذا فقد جعلا الخروج من حلف بغداد مطلباً من مطالبها الوطنية الكبرى، وظل الشعب العراقي يناضل تحت قيادة جبهته الوطنية حتى اسقط حلف بغداد ومن وراء حلف بغداد في صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ لقد اثنى بعض رجال الحكم وبعض السياسيين الموالين لنوري السعيد على ميثاق بغداد ثناءاً عاطراً واعتبروه توقيع الميثاق وتسميته باسم بغداد شرفاً لبغداد لايضاهي أي شرف.

وبقيت العلاقات العراقية – السوفيتية مقطوعة طوال الفترة من عام ١٩٥٥ حتى قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ التي مثلت منعطفاً جديداً في السياسة الخارجية العراقية، فتمت اعادة

العلاقات العراقية- السوفيتية على مستوى أعلى من المفوضية، فأضحى للعراق سفاره في الاتحاد الس وفيتي يترأسها عبد الوهاب محمود، في حين اعاد الاتحاد السوفيتي بتعيين زاربتزيف سفيراً له في العراق لكونه كان وزيراً مفوضاً في السابق، ولمعرفته بأوضاع العراق العامة، فكان ذلك بدية علاقات متطورة على الصعد كافة بين العراق وحكومة موسكو لاسيما الاخيرة اعترفت بحكومة عبد الكريم قاسم بعد يومين من قيامها وتبع ذلك قيام دول المعسكر الاشتراكي بالاعتراف بحكومة الثورة في العراق التي اطاحت بالنظام الملكي، واعلنت عن قيام النظام الجمهوري فيه وبذلك بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين البلدين كانت حافلة بالتطورات والاحداث**(أحمد ، عبد الرحمن، ٢٠٥، ص١٦٢)**

نتائج البحث

١- أولت روسيا اهتماماً ملحوظاً بمنطقة الخليج العربي بشكل عام وبشكل خاص العراق في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، حيث اقامت نشاطات دبلوماسية واسعة مع الاقطار العربية لكي تكون مرتكزاً لها في هذه المنطقة المهمة، والتي أولتها جميع الدول الغربية اهتماماً كبيراً في ستراتيجياتها.

٢- سعت روسيا في فترة الحرب العالمية الاولى سعياً محموماً للوصول الى منطقة الخليج العربي، ولاسيما الى العراق، ولذلك بدأت في هذه الفترة مساومات روسية – بريطانية مع ايران لضم المناطق المقدسة في العراق الى الاخيرة مقابل فسح المجال للروس احتلال مناطقها الشمالية، واحتلال بريطانيا لمناطقها الجنوبية، وخاصة أن الروس أرادوا وسيلة للوصول الى الخليج العربي، وضمان حدودهم ومد نفوذهم الى العراق في ال مرحلة اللاحقة.

٣- كان الهدف الاساسي من قيام السوفييت بعلاقاتها مع العراق هي الاستفادة من الموقع الستراتيجي للعراق للأنطلاق فيه الى بقية الاقطار الخليجية، وخاصة وأن العراق كان حكم ملكي وكان سبباً بارتباطه ببريطانيا وسيطرته على مقدراته الاقتصادية والعسكرية، لذلك لم يفسح المجال للسوفييت باقامة علاقات دبلوماسية مع العراق طيلة سنوات عديدة، ولأن العراق ولاسيما نوري السعيد وعبد الاله وغيرها كانوا يكنون كرهاً شديداً للشيوعية.

٤- ولكون العراق يمتلك عدم مميزات مهمة بالنسبة الى روسيا ليس فقط من الناحية الجغرافية فحسب، وأنما لامتلاكه الكثير من الثروات لذلك توجه انظار الروس نحو العراق لاقامة علاقات دبلوماسية معه، ولتكسب العراق الى جانبها، ولاسيما وان روسيا تعلم بأن انظار دول الغرب ولاسيما بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية تتجه نحو العراق.

٥- حاول الاتحاد السوفيتي وبكافة الوسائل تقوية علاقته مع العراق في عهد الملك فيصل الاول وذلك من خلال التقرب الى نوري السعيد وعبد الاله، اللذان كانا رافضين لهذه العلاقة وذلك تخوفاً منهم من انتشار الشيوعية داخل العراق.

٦- أن السوفييت نجحوا من البداية من اقامة علاقات دبلوماسية مع العراق في أواخر الحرب العالمية الثانية، ولكنهم لم يحصلوا على ما كانوا يصبون اليه من مكاسب داخل العراق بسبب الطوق الذي كان مفروضاً عليهم في المنطقة ، وخاصة بعد دخولهم في ما عرف باسم " الحرب الباردة" والتي حددت وجودهم في الخليج العربي ودخول العراق ميثاق بغداد عام ١٩٥٥.

٧- قيام السوفييت بفتح الاحزاب الشيوعية في العراق ونشر الفكر الشيوعي الذي كان يثير مخاوف كل من نوري السعيد وعبد الاله، وخاصة عندما دخل العراق ميثاق بغداد عام ١٩٥٥، ورفض الشعب العراقي لهذا الميثاق وقيام الشعب مظاهرات عارمة وبصعوبة قام نوري سعيد بتشتيت المتظاهرين.

٨- أما بالنسبة للسوفييت لم يرضوا بغلق قنصليتهم في العراق، وذلك بسبب التنافس الروسي- البريطاني حول المستعمرات، وفي مطلع القرن العشرين سعى الاتحاد السوفيتي لإعادة فتح قنصليتهم مرة ثانية.

٩- لم تستمر العلاقات السوفيتية العراقية بشكل متوتر بل، وبعد خروج العراق من ميثاق بغداد، شهدت فترة ١٩٥٥-١٩٥٨ تقوية العلاقات السوفيتية العراقية ولاسيما بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق واعتراف السوفييت بجمهورية العراق.

المصادر:

١-ابراهيم، عبد الفتاح،(١٩٣٥)، مطالعات في الشيوعية، بغداد.

٢-احمد، بيداء محمود، عبد الرحمن فردوس،(٢٠٠٥)، تطور العلاقات العراقية-الروسية، دراسة تاريخية، بغداد.

٣-أحمد، كمال مظهر،(١٩٨٢)، العراق وأيران بين سازانوف،وغراي، وثائق جديد، مجلة آفاق عربية، العدد الثاني، بغداد.

٤- ايفري ايفانون،١٩٨٨، الاتحاد السوفيتي في ظل الحكم الاستاليني، ترجمة دار التقدم، موسكو.

٥- البلاوي، صادق،(٢٠٠٨)، التطورات التاريخية وتأسيس الجمهورية العراقية، مجلة الثقافة الجديدة، العدد ٣٢٥.

٦- جاسم، عبد المناف شكر،(١٩٨٠) العلاقات العراقية – السوفيتية ١٩٤٤-١٩٦٣، بغداد.

٧- جريدة الشرارة،(١٩٤٢) ، السنة الثانية، العدد(٥).

٨-جريدة " كفاح الشعب"، العدد٢، آب، ١٩٣٥.
٩-جريدة الشرارة، (١٩٤٢)، السنة الثانية، العدد ٢٥ شباط.
١٠-د.ك.و، ملفات البلاط الملكي التسلسل ٣١١/٨٢٩، كتاب من وزارة الخارجية العراقية الى السفارة العراقية في انقرة بتاريخ ٢٨ كانون الاول ١٩٤٠، الوثيقة رقم ٢٢.
١١-السويدي، توفيق،(١٩٦٩)، مذكراتي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٢-شريف، وليد،(١٩٧٦) ، الاتحاد السوفيتي ومنطقة الخليج العربي ،مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الخامس، كانون الثاني، البصرة.
١٣-الشمري، شلال جاسم،(٢٠٠٢)، الاتحاد السوفيتي والصراع على الشرق الاوسط، الكويت.
١٤-عبد الرحمن ، محمد كامل محمد ، (١٩٨٨)، سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه، البصرة، ١٩٨٨.
١٥- عبد الكريم، سميرة، ومحمد، صلاح،(١٩٥٨)، اضواء على الحركة الشيوعية في العراق ١٩٣٤-١٩٥٨، دار المرصاد، بيروت، الجزء الاول.
١٦- العقيلي، طارق مجيد تقي، (٢٠١٠) بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، التيار القومي والطائفي، القاهرة.
١٧-العمار ، منعم، ١٩٩٧، العلاقات الروسية والبحث عن نموذج واقعي لتأكيد تفاعلاتها، مجلة " دراسات ستراتيجية" ، العدد(٣) ، بغداد.
١٨- غلمان، ولدمار، (بلا تاريخ) ،عراق نوري السعيد.
١٩- فضل، اسماعيل حسين، ١٩٨٥،المسألة الكردية في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، العراق.
٢٠- كبة، محمد مهدي،(بلا تاريخ مذكراتي في صميم الأحداث، بيروت.
٢١-مار، ميني،(٢٠٠٦)، تاريخ العراق المعاصر، العدد الملكي، ترجمة: مصطفى تعمان احمد، بغداد.
٢٢- مراد، علي مراد،(١٩٧٩)، تطور السياسة الامريكية تجاه منطقة الخليج العربي ١٩٤١-١٩٤٧،اطروحة دكتوره(غير منشورة)، جامعة بغداد، العراق.
٢٣- مصطفى، احمد عبد الرحيم، ١٩٦٨، العلاقات المصرية -البريطانية (١٩٣٦-١٩٥٦)، القاهرة.
٢٤- مقتبس من صفوة، نجدة فتحي،(١٩٨٥)، نظرة تاريخية على العلاقات العراقية السوفيتية، مجلة التضامن ، العدد (٤٢) ٢٠كانون الاول، بابل.
٢٥- يتناقض هذا مع قول لينين " أن النظرية الثورية ليست عقيدة" أنظر: ستالين اللينية.